خصائص القصة عند محمد خضير

المدرس المساعد
عمر فيصل غازي
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
Art.omer.faisel@uobabylon.edu.iq

Characteristics of the Story according to Muhammad Khudhayir

Assist. Teach.
Omer Faisal Ghazi
Center of the Urban and Historical Studies

الملخص:-

تناولت الدراسة تعريف بسيط في التوطئة يتناول خصائص القصة القصيرة في الأدب العربي، ليتم التخصيص بعد ذلك بقصص الراوي والقاص العراقي محمد خضير، وما تضمنته قصصه من خصائص مثل الدراما والتكثيف والوحدة الموضوعية والحوار والشخصيات الرئيسية والثانوية والمواقف، وذروة الأحداث والقصص ونقطة حل النزاع والصراع والخواتيم، ولأن لكل قصة زماناً ومكاناً كان اعتماد القاص عليها تم التوجه نحوها بطريقة قصصية إبداعية، وكان الاعتماد الرئيس على توظيف تلك الخصائص على وفق شواهد مع التحليل والاستقصاء والتوظيف.

الكلمات المفتاحية: القصة، محمد خضير، الأسلوب القصصي.

Abstract:-

The study dealt with a simple definition in the introduction.it discusses the characteristics of the short story in the Arabic literature, so that , the specialization is then to be completed in the stories of al-Rawi and the Iraqi storyteller Mohammad Khudhayer and what whose stories included of characteristics, such as drama, intensification, thematic unity, dialogue, main and secondary characters, situations, climaxes of events and stories, conflict resolution point, conflict, and conclusion. Because every story has a time and place, the storyteller relied on it and then moved towards it in a creative narrative way, and the main reliance was on employing these characteristics in accordance with evidence with analysis, investigation and employment.

Keywords: story, Mohammad Khudhayer, narrative style.

المقدمة:

إن المرحلة الأولى التي يبدأ بها الكاتب بالبحث عن هوية تكشف عن قدراته في التكوين البنائي اللغوي في صناعة القصة القصيرة، أو أي تكوين أدبي آخر، يتطلب منه الاستقلالية أولا في منحاه الأدبي، والظهور بين ايدي القارئ والناقد، بمظهر الجديد الآتي بنمط فني مميز ومختلف عن الأسلاف والمعاصرين، وقد يتضح هذا في القصة الأولى، التي يجب أن تضع لكاتبها مرتكزات أصيلة بين الوسط الثقافي عامة والأدبي خاصة، ويتأتى هذا بفضل ذكائها وثروتها من الابتكار المحكم، وتهذيب مضامينها الهندسية، الذي في كثير من الأحيان يغني التعاطي الجديد، الذي من شأنه أن يفاجئ ويدهشه المتلقي، إذا جاءت الأصوات والمعاني تتلاقى في سلم سردي يعزف على تفجير مكامن الحكاية، لتصفو وتحلو، فتأتي بإمتاع لذيذ المغزى، متداخل بإحساساته الوجدانية الخالصة، من هنا يندرج الخيال ليحدد ما هو مألوف.. وما هو استثناء في بسط نماذج جذابة متفاعلة، وقد يتطلب هذا الجهد من البحث المتواصل في المُناخات الملائمة والضرورية، من مصادفات استثنائية يستغلها المبدع، لتكون قصة متخصصة من نتاج ثلاثة عوامل: التخيل التأمل الاستقصاء[١].

تشكل هذه العوامل نتاج لبناء نص يمتاز باستقلاليته، وطموحه الذاتي والمعنوي، غير مقيد أو منسوب إلى نطاق معين، قد يفشل التجربة ويضرها، وإنما يجب على الكاتب أن يخلق النطاق الأدبي والفكري من سياقه الخاص، يستعان بنصوصها من مآثر اجتماعية أو استعارة الأفكار من بلاغة الأقدمين المعبرة عن حلاوة النص تعبيراً حسياً، مدخلاً عليها إيقاع نسيجه الفني، ومشاعره، أو حتى تداعيات لما تخزنه ذاكرة المنشأ من حالات تشكل تلاحقا مترابطاً بين الماضي والحاضر، في تحديد إدراك المعنى، وهنا يشار إلى الدور المعرفي للقدرات اللغوية والثقافية، وبُعد رؤية الملامح الصوتية عنده، التي تحقق نجاح الاتجاهات الفنية، وأشكال تعبيرها النثري المنساب في ثنايا البناء المحكم[٢].

والأسلوب الذي يشد من أزر التوثب إلى خلق حكاية ناجحة، ورؤى تستمد خيالاتها من واقع بيئة الراوي، أو معايشته عبر تنقلاته وأسفاره، لأن الأصل هنا أصل استلهام وإحياء في التجديد وانتقاء الأفضل والأسهل، ومن أجل هذه القيم الإبداعية وفي سبيلها يتم الاختيار والاعتناء بالمضامين والخصائص الأسلوبية. وقد سماها النحات بالمقابلة، ذكرت

وعلق عليها السكاكي في قوله: " المقابلة أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما." والرأي هذا ينطبق عند الخطيب القز ويني أيضاً حيث يقول: " هو أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة"

وقد أوردتَ هذين المثلين لأهميتهما، وذلك للاستفادة من المتابعة والاطلاع عل آداب السلف من أهلنا مع أهمية الاختلاف المنهجي، والإبداعي عند كل أديب[٣].

أهداف البحث:

قام البحث على مجموعة من الأهداف؛ ومنها:

١- توضيح الخصائص التي تقوم عليها القصة القصيرة عند محمد خضير.

٢- ربط خصائص القصة القصيرة بشواهد من قصص الراوي العرابي محمد خضير.

٣-تحليل الشواهد القصصية بالاعتماد على شرح و وتفصيلا الخاصية عند محمد خضير.

أهمية البحث:

تنطلق أهمية البحث عن طريق النقاط الآتية:

١- تسليط الضوء على قصص الراوي والقاص العراقي محمد خضير.

٢- استخلاص الخصائص التي يعتمد عليها الراوي محمد خضير في قصصه.

٣- توظيف خصائص القصة بشواهد قصصية من أعمال الراوي محمد خضير.

مشكلات البحث:

خلال عمليات البحث والدراسة واجهتنا مجموتة من المشكلات والعوائق التي تمثلت بالآتي:

١- قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع دراستنا الحقيقي.

٢- عدم توافر جميع قصص وأعمال الراوي محمد خضير في المكتبات الإلكترونية.

أسئلة البحث:

قامت دراستنا بالإجابة على الأسئلة الآتية:

١- ما هي خصائص القصة القصيرة عند الراوي محمد خضير؟

٢- كيف تم توظيف خصائص القصة في قصص محمد خضير؟

منهج البحث:

قامت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي وصف خصائص القصة القصيرة وتحليل الشواهد الواردة في قصص الراوي العراقي محمد خضير.

المبحث الأول

الفن القصصي وعناصره

تعددت عناصر الفن القصصي في اللغة العربية بين الحادثة، والشخوص، والبناء: ويتضمن العقدة والحل، والزمان والمكان، وكذلك السرد والحوار والوصف، فضلاً عن الفكرة(٤).

و "القاص قد يستخدم تقنية واحدة من تقنيات الكتابة مثل السرد و الحوار و المونولوج و الفلاش باك و الراوي" أما القصة فإنها ومضة من الضوء يلقيها الكاتب على شريحة من شرائح الحياة إذا صح هذا التعبير، ليصور بها حادثة ذات وحدة عضوية، ويكشف بها عما يربط بين أجزائها من معان أو علائق، إنها إذن تعتمد على أساسين كبيرين هما: اللمسة الإنسانية من جانب، وخلق مشكلة من المشكلات التي تعرض للبشر، وحل هذه المشكلة من جانب آخر(٥).

ويرى أرسطو أن الكاتب الدرامي يحقق محاكاته بطرائق ثلاث: السرد في جزء، و في جزء آخر يتقمص شخصية أخرى غير شخصيته، ثم يروي القول على لسانها وإما أن يتكلم بلسانه هو وإما أن يعرض الشخصيات و هي تؤدي كل أفعالها أداء دراميا، ومما لا شك فيه أن كل حدث من الاحداث لا يقع بالطريقة التي وقع بها في القصة إلا لوجود شخص معين أو أشخاص معينين يجرى على أيديهم هذا الحدث المعين، ومعنى ذلك أن الحدث في القصة

هو هذه الشخصية أو الشخصيات التي تعمل ويجري على أيديها الحدث بخاصيه، ووحدة الاحداث في القصة لا تتحقق إلا بتصوير الشخصيات وهي تعمل في داخل القصة، وهكذا يتطور الحديث من نقطة إلى أخرى، أي أن كل جزء في القصة يبدو كأنه يؤدي إلى الجزء الذي يليه وهكذا[٦].

ذلك أن "العقدة" و"لحظة التنوير" شرطان أساسيان في هذا اللون من الادب، على حين أن المقال القصصي لا يشترط فيه أن تكون له "عقدة" ولا يحتاج إلى "لحظة تنوير" التي تنحل بها هذه العقدة، وقد توصل فؤاد قنديل إلى تعريف للقصة القصيرة: " نص أدبي نثري يصور موقفا أو شعورا إنسانيا تصويرا مكثفا له أثر أو مغزى "[٧].

أما الكاتب المسرحي فيرى أرسطو أنه يعالج في أعماله الحقيقة المثالية و ليس الحقيقة التاريخية فهو لا يعرض ما حدث، و لكن سلسلة من الأحداث الممكن وقوعها طبقا لقاعدة الاحتمال والحتمية.

لا بد للقصة من خبر من الاخبار ترويه بصورة فنية، ولكن يجب أن يكون مفهوماً على الدوام أنه ليس كل خبر أو مجموعة من الاخبار قصة. فالشرط في أن يصبح الخبر قصة هو أن يكون له أثر كلي في نفس القارئ، أما الرؤية السردية في القصة القصيرة فيرى فؤاد قنديل أن "كاتب القصة القصيرة يجلس في ما على شيء ما من ثقب الباب أو من خصاص النافذة"[٨].

المبحث الثاني

دراسة خصائص القصة القصيرة عند محمد خضير

تتميز القصة القصيرة عند القاص محمد خضير بخصائص محددة بارزة المعالم، ومن هذه الخصائص ما يلي[٩]:

١- أن تعالج القصة القصيرة موضوعًا واحدًا فقط.

٢- أن تقتصر على حادثة واحدة أو حلقة محددة أو وضع معين.

٣-أن تلتزم بطول محدد.

٤- الوحدة، حيث تشتمل على فكرة واحدة، ولها هدف واحد ولها شخصية رئيسة واحدة وتخلص إلى نهاية منطقية واحدة وتستخدم تقنية واحدة.

٥- التكثيف، حيث يكون مطلوباً لتحقيق أعلى قدر من النجاح للقصة القصيرة.

٦- الدراما، وهي خلق الإحساس بالحيوية والديناميكية والحرارة، حتى لو لم يكن هناك صراع خارجي، ولم تكن هناك غير شخصية واحدة.

٧-المواقف.

٨-الشخصيات الرئيسية.

٩- النقطة الأكثر عملًا، والنقطة التي يتم فيها حل النزاع.

سنتناول هذه الخصائص في دراسة البحث والدراسة اذ إن محمد خضير هو كاتب قصة قصيرة عراقي من الطراز الأول، بقليل من النصوص استطاع لا أن يفرض اسمه كقاص فحسب، إنما أن يشكل ظاهرة في القصة العربية ويحدث اختراقا نوعيا مازال يتواصل مع نتاجه الكثيف والمميز.

ولا شك في أن القاص الذي يمتاز برؤيا ثاقبة وحس مرهف، يستطيع دملجة اللغة عبر فنونها، في تسريب المعاني التي تنساب في الكلام المنثور، على لسان البطل وقد تنمو هذه النبرات وتتفاعل لتشكل تجربة متطورة في إذاعة نماذج قصصية جديدة، تقود المتلقي إلى باحة لغوية وفنية هادئة ومفيدة، في نشوء المناخ الثقافي المتطور للإدراك الجمالي الواقعي، وتجاوز الوصفي المقيت والتزيينيه السهلة. التي طالما رسخت مفهوم الأدب القصصي التقريري، الذي شاع في العقد الأول من العصر المنصرم.

هذه المرحلة أنجبت أقلاماً كثيرة على امتداد الوطن العربي من استلهام مشرقنا بكل أبعاده التاريخية والاجتماعية والدينية والبيئية المتناقضة في أسلوب حياتها واتجاهاتها، و يأتي هذا عن طريق الاتصال بالجوانب النفسية الخفية أحيانا، والظاهرة في أحايين أخرى، ولاسيما بالمجالين السياسي والاجتماعي، يقودنا المفكر الكبير علي الوردي إلى رأي، علاقة الفرد بالمجتمع، ومدى تأثير العام المجتمعي في الخاص الفرد حيث يقول: " إن المقاييس الفكرية الخاصة بمجتمعه قد انغرست في عقله الباطن وأصبحت توجّه تفكيره من حيث لا

يدري. فتفكيره محاط بإطار لا شعوري. هو يظن بأنه حر في تفكيره وهو واهم في ذلك، إذ أنه لا يختلف في قيوده الفكرية عن غيره من الناس."[١٠].

فقال القاص محمد خضير في حدائق الوجوه موظفاً العنصر الدرامي:

"أيها الحطّاب الأحدب، الدليل الأدرد، يا ذا الرائحة الذئبية، قدمي الورل، حدقتي البومة، قلب الثعلب، شوكة العقرب، لسان الأفعى، أيها الظل الكاذب، الفأس الخرساء، المرآة المظلمة"[١١].

نلحظ ها هنا كيفية اعتماد الراوي على العنصر الدرامي الذي جمع فيه كل عناصر الحديقة من الحطاب والذئب والقدم والبومة والثعلب والعقرب والأفعى والفأس، فخلق إحساساً بالحيوية والحركية والحرارة، فتعدد العناصر المشتركة بقاسم الحديقة جعل من من النص أكثر ديناميكية.

والعناصر الدرامية ابتداء من الديكور ثم الصراع والحوار من عناصر التشكيل تتردد في القصة القصيرة جداً بطرق وسبل مختلفة، فمنها ما يتمظهر على نحو بارز وأصيل في تشكيل رؤية واضحة المعالم، ومنها ما يظهر على شكل ملامح وإضاءات تثير الفاعلية في النصوص السردية[١٢].

والحوار هو تقنية مهمة من تقنيات بناء الحدث في القصة، فضلاً عن أنه صفة لا تنفصل بأي حال من الأحوال عن الشخصية القصصية،لهذا كان الحوار من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في إضاءة الجوانب المتعددة للشخصية؛ فالحوار يهدف إلى التعريف بالشخصية القصصية، وتقديم المعلومات اللازمة عنها، وبيان علاقتها بغيرها من الشخصيات داخل العمل القصصي، وكذلك علاقتها بمكان الأحداث، بالبوح أو الاعتراف، بالإضافة إلى الكشف عن الشخصية القصصية وتحولاتها المختلفة، وفى كل الأحوال يكون الحوار مشحوناً بـ " دلالات تنتمى إلى مجالات وعقول عديدة"[١٣].

وللحوار عدة وظائف منها: تحديد اتجاهات الشخصية وسلوكها، ومن ثمّ " رفع الحُجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة، وشعورها الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى" ومن وظائفه أيضاً: " الإيحاء بصدى الحدث، أو الإسهام في تطوير هذا الحدث بما عسى أن يترتب على الحوار من فعل"[١٤].

ولكي يقوم الحوار بوظائفه السابقة بالنسبة إلى الشخصية، اشترط النقاد صفتين للقيام بذلك منها:

أن يندمج الحوار في صلب القص؛ لكي لا يبدو وكأنه عنصر دخيل عليه، متطفل على شخصياتها(١٥).

أن يكون الحوار سلس رشيقً، مناسب للشخصية والموقف الذى قيل فيه، وأن يكون قادراً على الكشف عن جوهر الشخصيات وأعماق حياتهم الجسمية والروحية.

ومتى انتفى هذان الشرطان أو الصفتان فى أى حوار فإنه بلا شك يضعف بنيته اللغوية فى أداء دورها فى البنية الفنية للنص القصصى بأكمله(١٦) فقال الرواي محمد خضير موظفاً عنصر الحوار:

" تلتفت قابلتي الأبلية نحوي لتخاطبني:

- كم بلغ عمرك يا ولدي؟

فأجبت:

- كيف لي أن أعرف يا طويلة العمر، ألم تحفظيه عندك في دفتر الأعمار؟

تموسق الجدة الكبيرة أو تخربش أو تصوّت كسحلية (أم سليمان):

- أنت ابن نورية أو سلومة؟

- ابن كرومة.

- حقاً؟! إذن أنت ابن البنت الجميلة ذات الضفائر الأربع؟

- ضفيرة واحدة يا جدتي.(١٧)

نلحظ في هذا المقطع أن القاص خضير اعتمد على تقنية الحوار باعتمادها خاصية من خصائص القصة، مما أشار إلى تعدد الشخصيات وتنوعها وتفاوتها الذي يظهر حالة من الصراع الداخلي للقصة، فكانت البداية في التساؤل عن معرفة العمر، لينتقل بتدها إلى التساؤل عن معرفة الأم، فيقحم المتلقي بحالة من الاندماج في المشهد القصصي المكتوب

المفعم بروح الإثارة.

فقال محمد خضير في قصة "أطياف الغسق" ما يلي:

"أين يُلقى بالأنقاض والنفايات والأجسام العضويّة المتفسخة؟ أين تصير الأحلامُ والأفكارُ الرّثّة والتجاربُ الفاشلة؟ أين يذهب الزمن المتسارع، أو المتباطئ، الذي ينقل هذه الأنقاضَ إلى مقبرتها؟ بل أين هذا المكان الذي لا يتحرك، وتتحرك فيه الأشياء الميتة؟ فكّرَ النحّاتُ الجليلُ الشّأنِ، الحفيدُ الرّابعُ لمنعم فرات، " ويكتفي باسم فرات الرّابع" بهذه الأسئلة وهو يقود سيارته على الطريق الدائرية الخامسة نحو بقعة الصحراء التي تركتها المدينة الجديدة على الحافة الدائرية السابعة. كانت الصحراءُ المكانَ الوحيد الذي نجا من تدهور المدينة القديمة، لم تفسد فيها جاذبيّتها الهائلة لما تبقى من الماضي، وما استُحدثَ بعد ذلك من حياة، أيكون ذلك الامتدادُ الفارغ موطن الأشياء الراحلة من مركز المدينة الحيّ؟ أيكون ذلك الثّقبُ الأبيض مصدر الرؤى التي تسلك الطرق السّبع الدّائرية لتتدخل في إفساد التصاميم الكثيرة التي وضعها النحات، مع مساعديه في مركز الفنون، للتمثال الكبير الذي اقترح نصبه على حافة الصحراء؟ تسارعت الأفكار مع تسارع السيارة، وكانت آخر فكرة خطرت بباله فكرة أفلاطون عن "المدينة المكتفية التي تمتاز على المدينة العظيمة ". فقد كان يدنو من قوس الصحراء المزروع بهوائيّات الاتصال، وقرص مرآة الأبعاد، وأسطوانات دار الموسيقى المثقبة(١٨).

بدءاً اشتغل محمد خضير هنا على تداعيات موسوعة الفكرة، لاسيما في هذه القصة، وهذا ربما ما يفسر عزوفه عن النص التجسيدي الفج من جانب، ومن جانب آخر ابتعاده عن البهرجة التي تقع في التشكيكية المعقدة، ولهذا جاءت نصوصه تعتمد على البلاغة النثرية ومحاورها السهلة: لغة باطنية تسبر أغوار الحدث وتغذية متعة الألفاظ والمعنى. وظاهر يمنح الشكل ما تلاقى مع المضمون. ومن ثم يوحد الحكاية مع ما يعادلها من الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية، وهذا الدلالي التفسيري للأحداث السياسية الحربية الأمريكية بمشاركة دول عربية "شقيقة" مثل سوريا الجارة!! ومصر أم الدنيا، والسعودية عبر مجموعتها من الطيارين الذين قتلوا بدم بارد أبناء العراق عام ١٩٩١. هذه الضغينة القاتلة ضد حضارتنا جعلت من خضير يعتمد أسلوباً تشكيلياً فهو يشخص المكان بدقة، ويفصله

فصلاً تصورياً، وكأنه يشرح المكان كالفسلجة المرقمة للجسد، فيومئ إلى المكان من طبيعة تشكيلته الهندسية ويركز عليها في هذا: " يقود سيارته على الطريق الدائرية الخامسة نحو بقعة الصحراء التي تركتها المدينة الجديدة على الحافة الدائرية السابعة ".

هذا التشريح الدلالي العابر إلى تعميم الرؤية المسكوبة على بنية الموازين من الجزء حتى الكل، تجعل من الحدث معمقا ومتجانسا لما يفرزه المكان على الحكاية، ومن هذه الدقة ومن أجلها، عمل على أن لا يطفئ عنصر المتعة من النص السياسي والاجتماعي. وبذات الوقت أن يتخذ من الأسلوبية الرمزية نص يتلاءم مع الدلالي التعبيري، خوفا من سيف الجلاد الذي كان يلامس رقبة كل عراقي. وهذا من خلال دراية الكاتب وتحليلاته الثقافية العامة لمجتمعه والنظام القائم آنذاك، وتساؤلاته الأربعة التي ابتدأ بها قصته أراد منها وبحس ثاقب أن يوصل أفكاره إلى المتلقي العام، وعلى هذا الأساس بنيّ مضمون الحكاية، واشرأب معناها من خلال صور محكمة التفاصيل والجزئيات، تتلاقى تلاقياً طردياً مع الحدث ومسبباته، وخضير له طموحه الخاص باجتذاب القارئ ودفعه إلى تحليل المعنى. والبحث عن مداول الرموز التي تشكل الخطوط العامة لأنسجة الحكاية، وطرح متلقياتها مع الشعبي العام، وهذه القيمة الأدبية وما يرافقها من طموح ذاتي، جعل من نص هذا القاص الحاد في لغته الأسلوبية، أن يطرح نصاً متداخلاً لما تحمله اللغة من طموحات متعددة، تعمل على إثارة قوانين جديدة في القصة العربية عامة، وهذا ليس بالجديد على البصريين بشكل خاص. وأدباء العراق بشكل عام أمام الجمع العربي الأدبي، فمن مميزات القاص محمد خضير: انه لا يستثني جزئيات الأشياء، بل يعمل على تدفقها إلى مراميه البعيدة في النقد والتحليل الذهني للظاهرة، والدقة هنا إنه لا ينظر إلى الظاهر فقط لبناء موضوعاته إنما يجعل من الحكاية تنثال مطردة أمام قارئه، من مصادره الذاتية وأدواته التي تشكل فلسفته الخاصة، ولعل ما ننقله من النص هنا يقدم لنا نموذجاً متقدما أمام النص العربي، حول معالجته للخراب الذي حصل من حرب الخليج الثانية لبغداد والبصرة، وقليلا لمدن عراقية أخرى، ومن أجل هذا وما سوف نقرأه في الفقرة الآتية يشكل امتدادا فكرياً لأفلاطون لاسيما في فكرة " المدينة الفاضلة "، يقول: " تسارعت الأفكار مع تسارع السيارة، وكانت آخر فكرة خطرت بباله فكرة أفلاطون عن " المدينة المكتفية التي تمتاز على المدينة العظيمة " إذن أصبحت لدينا مدينتان، مدينة أفلاطون الفاضلة أو العظيمة، ومدينة خضير المكتفية

التي امتازت على سابقتها من أوجهٍ عديدة. متلاقيات الحضارة الحديثة وما رافقها من تطور صناعي وثقافي وأدبي ومعرفي واقتصادي وعسكري الخ، أفلاطون كان يتمنى أن تكون مدينته فاضلة، وخضير واقف على بوابة المدينة التي أكتفت بكل عناصر التطور ونمو متطلبات الحضارة الجديدة، ولكن هل بقيّ هذا الاكتفاء لمدينة خضير كما هو، لنتوقف هنا ونرى إلى أين يأخذنا الانحدار في هذه الفقرة: " وأحس باتّساع المدى الرّؤيويّ المغبّش الذي يحيط بالطرق الدائرية للمدينة وقلبها. " الدمار الذي أحال المدينة المكتفية عند خضير إلى مدينة على اتساع مداها مغبش. والغبش هنا يعني خراب ما حل بالمدينة، وهو تعبير لاستخدام وظيفي للرمز في النص الأدبي، هذه اللفظة تعددت في تشكيل معانيها اللغوية بين الفصيح والشعبي، فالعامة من الناس يقولون "الغبشة" وتعني اقتراب الفجر، ومغبش "شعبية" تعني لا يوجد مدى واضح، أو انكفاء الرؤية عن المكان، أما رأي خضير الذي يقصده بهذه المفردة وبرمزها الدلالي، هو ظلام ما أو زوبعة ما تحمل الغبار الرمادي. إذن فالظلام هو الذي حل بالمدينة، وأحالها إلى مدينة تزحف باتجاهها الصحراء بقوة، بكل ما تحتمل هذه الكلمة من معان مأساوية[١٩].

فقد جاء نص محمد خضير متوازن المدركات الحسية العاطفية، والواقعية المتجسدة في أحداث بصرياثا، وهو أيضاً جامع بين معرفة تجلي الفكر، وبين فاعلية السرد القصصي في التقاط اللمحة المعدلة والمؤثرة، وهنا تشكل سريان الأحداث بنسق يتطابق مع رؤيته للحدث، ومن أجل هذا ارتقى ارتفاع التدفق التصويري الدقيق والمنسق بعناية فائقة، إلى هذا التنويع الفني الملحمي بهذه القصة[٢٠].

والتكثيف أو الإيجاز أو الاختزال هو أحد العناصر الأساسية في القصة القصيرة والمستخدم من قبل الكاتب؛ إذ يقوم بتضمين القصة مفاهيم ذات مدلولات عميقة ضمن مساحة نصية ضيقة باستخدام آلية الحذف، شرط ألّا يُحدث ذلك خللًا في القصة وأحداثها ونصها بشكل عام أو شخصياتها[٢١].

لا يكون التكثيف على مستوى جمع الجُمل بنمط ونسق معين، وإنما يتعدى ذلك إلى المستوى الدلالي، إذ تحمل القصة تأويلات متعددة، وقراءات متاحة ومفتوحة؛ أي أنها ليست ذات توجّه واحد[٢٢].

تقوم وظيفة التكثيف بشكل أساسيّ على إذابة العناصر المختلفة المتناقضة والمتشابهة، وجمعها في كيان واحد لامع لافت للقارئ، ومن خلاله يُمكن تحديد بنية القصة ومتانتها من ناحية الاقتصاد اللغوي، والقدرة على الاختزال عن طريق تناول الأحداث بإيجاز دون اللجوء للشرح والسببية والفيض، وقال الروائي محمد خضير في قصة حدائق الوجوه موظفاً عنصر التكثيف:

"فجأة ظهر الكلب، تابعي ذاك، في ليلة موحشة أمام باب المنزل، بعينيه الذابلتين من السهر والنباح، وأمسى يظهر في الليالي التالية لا يحيد عن موقعه، لم ينجني عذر أو مهرب من اللحاق به، والانطلاق خلفه بأقدام كلبية مغمّدة في الشوارع والحارات حتى خرجنا من المرابع المضاءة والمهاجع الصامتة وبلغنا وكراً مهجوراً خارج المدينة"(٢٣).

اعتمد الراوي في هذا النص على عنصر التكثيف وهي خاصية من خصائص القصة، فذكر زمان الحدث ومكانه، وتابع في استكمال جوانب الحدث وذروته، مما أضفى طابع التكثيف على المشهد، فطبعت الحكاية بطابع الإثارة والحماس وإدماج القارئ في تفاصيل الحكاية.

وقال القاص خضير أيضاً:

"لاحت غيوم الخريف المبكرة من نوافذ الشرفة المفتوحة على النهر، وهبّت رياح باردة حرّكت ساري حناكي المسدل على رأسها، وتكسّرت مويجات خضر على غضون جبهة شاندالا وقرطي أذنيه، وقميصه الأبيض، لكن نسمات الخريف عجزت عن تحريك خصلة واحدة من شعره الأسود المصفف إلى الوراء في ضفيرة قصيرة مضغوطة داخل حلقة فضية تستقر على ظاهر عنقه.."(٢٤).

فنلحظ ها هنا كيفية اعتماد القاص على حدث واحد تفرعت منه عدة مواقف، فالحدث الرئيس يتناول الحديثة، والمواقف العديدة تتناول حركة الغيوم والرياح وموقع الحديقة والشرفة والأثاث الذي تحتويه، إضافة إلى الشخصية التي تحدث عنها في هذا المشهد، فأضفى ذلك بعداً قصصياً مفعماً بالحيوية والحركة الدرامية التي تجعل المتلقي كأنه شخصية ماثلة في ركن من أركان القصة يتعايش مع أحداثها بعفوية.

وفي هذه القصة "حدائق الوجوه" اعتمد الراوي على مجموعة من الحدائق التي بوّبها ضمن أبواب وأقسام، فكانت متقاربة في الطول، تحمل الغايات ذاتها والأحداث الرئيسة ذاتها مع اختلاف في المواقف والشخصيات، "حديقة الصمت قناع رابندرانلت طاغور البوراني" و "حديقة القرن قناع غابرييل غارسيا ماركيز طفل مقبرة العجلات" و "حديقة العالم قناع خورجي لويس بورخس رموز اللص" و "حديقة النبي قناع حبران خليل جبران الرسام النائم" و "حديقة الحب أقنعة الحب شمامة" و "حديقة الغفران قناع أبي العلاء المعري الرحماني".

والحل هي النهاية التي يعلن فيها الكاتب عن تحلحل عقد القصة وتفكّك حبكها مؤذنًا بمشارفة القصة على نهايتها، وقد يحذف هذا العنصر فيترك الكاتب نهاية القصة مفتوحة ليسمح للقارئ بالمشاركة في توقع نهاية للقصة وإيجاد حل لحبكتها. وليس الحل هو عملية ختم لأحداث القصة فحسب بل إن فيه التنوير النهائي للعمل القصصي الواحد المتماسك، ومن خلاله يقع الكشف النهائي عن أدوار الشخصيات وينبغي على الكاتب أن يتجنب النهايات المفاجئة، أو النهايات غير المقنعة، التي تشبه جسمًا غريبًا أضيف إلى العمل القصصي لأن الواقعية تعد من أهم الخصائص الأساسية في العمل الفني[٢٥]، وجاء في خاتمة القصة على لسان الراوي خضير ما يلي:

"وعلى هذه الجشوة وجد الجنود الذين اجتاحوا العاصمة بعد شهور، وفتشوا خان البغال رجلاً أقرب شبهاً بصفوان البكاء الذي عده الجاحظ من شخصيات البخلاء في كتابه عنهم، ولم يكن هذا الجمال الباكي بخيلاً إلا أن دموعه التي درتها عيناه ليلاً ونهاراً قد استحجرت وتبلورت على رقعة خضراء مفروشة بين ركبتيه الحاثيتين."[٢٦].

انطلق الراوي في هذا المشهد معبّراً عن نهاية القصة والنقطة الأكثر عملاً والتي تم فيها حل النزاع أو ما يعرف بنهاية الحدث، فتلخصت بموت الرجل الذي يشبه صفوان البكاء فما كان بخيلاً وكانت دموعه طوال حياته تسيل ليلاً ونهاراً حتى تحجرت وتبلورت على الرقعة الخضراء فكانت نهايته جثة رحمانية.

الخاتمة:

وفي الختام نلحظ أن دراستنا قامت على خصائص القصة القصيرة عند الراوي أو القاص العراقي محمد خضير، وقد كانت قصصه وكتاباته فيها خيط جوهري يربط كل هذه السرود في نسيج متّقن وغني، كما أنها احتفاء بالمنجز السردي العربي كون السارد خضير أحد رموز الأدب العربي وصار اسمه أيقونة من أيقونات هذا الأدب وأما عن سردياته فهي توليفة شديدة التعقيد يمتح فيها من كل مصادر المعرفة باعتباره يمتلك ذهناً متوقداً وحواس مرهفة وخيالاً من الأساطير، ليقدم لنا عملاً سردياً باذخ الثراء.

تناولت قصصه مجموعة من الخصائص التي لا بد من تناولها ضمن القصة القصيرة مثل اعتماده على الوحدة الموضوعية ووحدة الحدث على اختلاف الشخصيات وتنوعها بين ثانوية ورئيسية، وكذلك توظيف ركني الحدث (الزمان والمكان) بأسلوب قصصي بالغ الإبداع، فضلاً عن مجموعة المواقف التي ربطها بعنصر التكثيف ليختتمها بنقطة حل الصراع الداخلي أو الخارجي مع نهاية العقدة، فتخرج القصة محكمة في الإبداع والدقة لافتة لذهن المتلقي معبرة عن حدث واقعي يتعايش معه القرّاء.

هوامش البحث

(١) - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار: أسرار البلاغة: قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر: مطبعة المدني: الفاهرة: د. ت: ص ٤١.

(٢) - علي حرب: الفكر والحدث: دار إحياء التراث العربي: بيروت: ٢٠٠٨م: ص ١٥٢.

(٣) - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة: تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي: ط ٣: دار الجيل: بيروت: د. ت: ص ٥٩.

(٤) - أمل نجار: القصة القصيرة وخصائصها: موسوعة فحوى: سوريا: ٢٠٢٣م: ص ٧.

(٥) - حسين علي محمد: التحرير الأدبي: مكتبة العبيكان ط ٥: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م: ص ٢٩٥.

(٦) - فؤاد قنديل: فن كتابة القصة: الهيئة العامة لقصور الثقافة: بيروت: ٢٠٠٢م: ص ٥٢.

(٧) - دكتور ابراهيم حمادة: فن الشعر لأرسطو: مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة: ١٩٨٩م: ص٧٢.

(٨) – حنان علي: البناء الدرامي في القصة القصيرة جداً قصة (حسوني) للقاص حسن البطران إنموذجًا: مجلة الأدب والفن: بيروت: ٢٠٢٢م: ص ٣.

(٩) – فؤاد قنديل: فن كتابة القصة: الهيئة العامة لقصور الثقافة: بيروت: ٢٠٠٢م: ص٣٥

علي الوردي: وعاظ السلاطين: دار الوراق للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت: ٢٠١٧م: ص ٦٣.

(١٠) – فؤاد قنديل: فن كتابة القصة: الهيئة العامة لقصور الثقافة: بيروت: ٢٠٠٢م: ص ٤٢.

(١١) – عبد الرحمن بن زيدان: مفهوم الدراما وعناصرها: موقع تماهي: العراق: ٢٠٢٣م: ص ٤.

(١٢) – محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م: ص ١٩.

(١٣) – محمد برادة: الرواية أفقاً للشكل والخطاب: مجلة شتاء: العراق: مج ١١: العدد الأول: ١٩٩٣م: ص ٢٢.

(١٤) – محمد يوسف نجم: فن القصة: دار بيروت للطباعة والنشر: بيروت: ط ٢: ١٩٥٦م: ص ١١٨.

(١٥) – محمد فتوح: لغة الحوار الروائي: مجلة شتاء: العراق: العدد الثاني: مج ٢: ١٩٨٢م: ص ٨٣.

(١٦) – عنايات خليل السيد: الحوار في القصة القصيرة عند يحيى الطاهر عبد الله: قسم اللغة العربية -كلية البنات جامعة عين شمس: ٢٠١٦م: ص ١٩.

(١٧) – محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م: ص ٢٣.

(١٨) – محمد خضير: أطياف الغسق: أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية العربية: العدد: ١١-١٢: ١٩٩٤م: ص ٢٧.

(١٩) – جعفر كمال: المقاييس والأحكام اللغوية والفنية في القصة القصيرة العربية: ج ١: موقع الناس: الصفحة الثقافية: العراق: ص ١٢.

(٢٠) – جعفر كمال: المقاييس والأحكام اللغوية والفنية في القصة القصيرة العربية: ج ١: موقع الناس: الصفحة الثقافية: العراق: ص ١٣.

محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م: ص ٣٦.

(٢١) – جلال مرامي: دراسة القصة القرآنية القصيرة حداً وعناصرها: دار الكتب العلمية: بيروت: ١٩٨٩م: ص ٢٠ .

(٢٢) – المرجع السابق نفسه

نعيمة جديلي وذهبية شريفي: القصة القصيرة بين الالتزام والتمرد: دراسة مقارنة بين النظرات للمنفلوطي والأرواح المتمردة لجبران خليل جبران، المسيلة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: جامعة محمد بوضياف: ٢٠١٧-٢٠١٨م: ص ٤-٨-١١

(٢٣) – محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م: ص ٣٦.

(٢٤) – محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م: ص ٧٤.

(٢٥) - نعيمة جديلي وذهبية شريفي: القصة القصيرة بين الالتزام والتمرد: دراسة مقارنة بين النظرات للمنفلوطي والأرواح المتمردة لجبران خليل جبران، المسيلة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: جامعة محمد بوضياف: ٢٠١٧-٢٠١٨م: ص ٤-٨-١١

(٢٦) - محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م: ص ٢٠٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولا:المصادر والمراجع باللغة العربية

١- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار: أسرار البلاغة: قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر: مطبعة المدني: الفاهرة: د. ت.

٢- علي حرب: الفكر والحدث: دار إحياء التراث العربي: بيروت: ٢٠٠٨م.

٣- محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة: تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي: ط ٣: دار الجيل: بيروت: د. ت.

٤- أمل نجار: القصة القصيرة وخصائصها: موسوعة فحوى: سوريا: ٢٠٢٣م.

٥- علي الوردي: وعاظ السلاطين: دار الوراق للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت: ٢٠١٧م.

٦- محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م.

٧- محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م.

٨- محمد خضير: أطياف الغسق: أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية العربية: العدد: ١١-١٢: ١٩٩٤م.

٩- جعفر كمال: المقاييس والأحكام اللغوية والفنية في القصة القصيرة العربية: ج ١: موقع الناس: الصفحة الثقافية: العراق: ٢٠٢٣م.

١٠- جعفر كمال: المقاييس والأحكام اللغوية والفنية في القصة القصيرة العربية: ج ١: موقع الناس: الصفحة الثقافية: العراق: ٢٠٢٣م.

١١- محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م.

١٢- محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م.

١٣- محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م.

١٤-عبد الرحمن بن زيدان: مفهوم الدراما وعناصرها: موقع تماهي: العراق: ٢٠٢٣م.

١٥-عبد الرحمن بن زيدان: مفهوم الدراما وعناصرها: موقع تماهي: العراق: ٢٠٢٣م.

١٦- محمد خضير حدائق الوجوه: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون: بغداد: ط ١: ٢٠٠٨م.

١٧- محمد برادة: الرواية أفقاً للشكل والخطاب: مجلة شتاء: العراق: مج ١١: العدد الأول: ١٩٩٣م.

١٨- محمد يوسف نجم: فن القصة: دار بيروت للطباعة والنشر: بيروت: ط ٢: ١٩٥٦م.

١٩-حسين علي محمد: التحرير الأدبي: مكتبة العبيكان ط ٥: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٠-فؤاد قنديل: فن كتابة القصة: الهيئة العامة لقصور الثقافة: بيروت: ٢٠٠٢م.

٢١-دكتور ابراهيم حمادة: فن الشعر لأرسطو: مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة: ١٩٨٩م.

٢٢- حنان علي: البناء الدرامي في القصة القصيرة جداً قصة (حسوني) للقاص حسن البطران إنموذجًا: مجلة الأدب والفن: بيروت: ٢٠٢٢م.

٢٣- محمد فتوح: لغة الحوار الروائي: مجلة شتاء: العراق: العدد الثاني: مج ٢: ١٩٨٢م.

٢٤- عنايات خليل السيد: الحوار في القصة القصيرة عند يحيى الطاهر عبد الله: قسم اللغة العربية -كلية البنات -جامعة عين شمس: ٢٠١٦م.

٢٥- جلال مرامي: دراسة القصة القرآنية القصيرة حداً وعناصرها: دار الكتب العلمية: بيروت: ١٩٨٩م.

٢٦-نعيمة جديلي وذهبية شريفي: القصة القصيرة بين الالتزام والتمرد: دراسة مقارنة بين النظرات للمنفلوطي والأرواح المتمردة لجبران خليل جبران، المسيلة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: جامعة محمد بوضياف: ٢٠١٧-٢٠١٨م.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الانكليزية

Sources and References:

1-Abu Bakr Abdul Qaher bin Abdul Rahman bin Muhammad Al-Farsi Al-Asl, Al-Jurjani Al-Dar: Asrar Al-Balagha: Read and Commented on by: Mahmoud Muhammad Shaker: Al-Madani Press: Al-Fahera: n.d.

2- Ali Harb: Thought and Event: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi: Beirut: 2008 AD.

3-Muhammad bin Abdul Rahman bin Omar, Abu Al-Maali, Jalal Al-Din Al-Qazwini Al-Shafi'i, known as Khatib: Al-Idah fi Ulum Al-Balagha: Investigation: Muhammad Abdul-Moneim Khafaji: 3rd ed.: Dar Al-Jeel: Beirut: n.d.

4-Amal Najjar: The Short Story and Its Characteristics: Encyclopedia of Content: Syria: 2023 AD.

5-Ali Al-Wardi: Preachers of Sultans: Dar Al-Warraq for Printing, Publishing and Distribution: Beirut: 2017 AD.

6-Muhammad Khadir Hadayek Al-Wujuh: Al-Mada Foundation for Media, Culture and Arts: Baghdad: 1st ed.: 2008 AD.

7-Muhammad Khudair, Hadayek Al-Wujuh: Al-Mada Foundation for Media, Culture and Arts: Baghdad: 1st ed.: 2008.

8-Muhammad Khudair, Atyaf Al-Ghusuk: Al-Sharakh Archive for Arab Literary and Cultural Magazines: Issue: 11-12: 1994.

9-Jaafar Kamal: Linguistic and Artistic Standards and Judgments in the Arabic Short Story: Part 1: Al-Nas Website: Cultural Page: Iraq: 2023.

10-Jaafar Kamal: Linguistic and Artistic Standards and Judgments in the Arabic Short Story: Part 1: Al-Nas Website: Cultural Page: Iraq: 2023.

11-Muhammad Khudair, Hadayek Al-Wujuh: Al-Mada Foundation for Media, Culture and Arts: Baghdad: 1st ed.: 2008.

12-Muhammad Khudair, Hadayek Al-Wujuh: Al-Mada Foundation for Media, Culture and Arts: Baghdad: 1st ed.: 2008.

13-Muhammad Khudair, Hadayek Al-Wujuh: Al-Mada Foundation for Media, Culture and Arts: Baghdad: 1st ed.: 2008.

14- Abdul Rahman bin Zaidan: The concept of drama and its elements: Tamahi website: Iraq: 2023 AD.

15- Abdul Rahman bin Zaidan: The concept of drama and its elements: Tamahi website: Iraq: 2023 AD.

16- Muhammad Khadir Gardens of Faces: Al-Mada Foundation for Media, Culture and Arts: Baghdad: 1st edition: 2008 AD.

17-Muhammad Barada: The Novel: A Horizon for Form and Discourse: Winter Magazine: Iraq: Vol. 11: First Issue: 1993 AD.

18-Muhammad Yusuf Najm: The Art of the Story: Dar Beirut for Printing and Publishing: Beirut: 2nd edition: 1956 AD.

19-Hussein Ali Muhammad: Literary Editing: Al-Ubaikan Library 5th edition: 1425 AH / 2004 AD.

20-Fouad Qandil: The Art of Writing the Story: General Authority for Cultural Palaces: Beirut: 2002 AD.

21-Dr. Ibrahim Hamada: The Art of Poetry by Aristotle: Anglo Egyptian Library: Cairo: 1989.

22-Hanan Ali: The dramatic structure in the very short story, the story (Hassouni) by the short story writer Hassan Al-Batran as a model: Literature and Art Magazine: Beirut: 2022.

23-Muhammad Fattouh: The language of narrative dialogue: Winter Magazine: Iraq: Issue Two: Vol. 2: 1982.

24-Enayat Khalil Al-Sayed: Dialogue in the short story of Yahya Al-Taher Abdullah: Department of Arabic Language - Girls' College - Ain Shams University: 2016.

25-Jalal Marami: A study of the very short Quranic story and its elements: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah: Beirut: 1989.

26-Naima Jdili and Dahbia Sharifi: The Short Story between Commitment and Rebellion: A Comparative Study between the Views of Al-Manfaluti and the Rebellious Spirits of Gibran Khalil Gibran, M'Sila: Ministry of Higher Education and Scientific Research: University of Mohamed Boudiaf: 2017-2018 AD.